الأسلوبية

الأسلوبية

تعود الأسلوبية في جذورها البعيدة إلى تراثنا العربي القديم ، إذ تناولها النقاد العرب في تآليفهم التي وعتها الذاكرة العربية ، فقد أشار إليها عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم .

و الأسلوبية منهج يقوم على دراسة النص من حيث الأسلوب و تحليله لغويًا ، مما تحمل اللغة من انحراف و انزياح عن المألوف ، وفي ضوء المعايير الفنية ، و العلاقات التي يلجأ إليها الكاتب لتنظيم جمله و صياغة عباراته على نحو يؤدي إلى الانسجام و تآلف النص .

و قبل الخوض في الحديث عن الأسلوبية من منظورنا المعاصر نتوقف قليلاً مع شيخنا الجرجاني في نظرية النظم .

وهي تقوم في أساسها على التأليف بين الكلام ، وضم بعضه إلى بعض ، إذ لا مزية للفظة وهي مفردة ، ولا يقوم لها كيان ولا تتضح إلا من خلال دخولها في سياق ، ووجد أنها لا تؤدي معنى المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة ، و بناء لفظة على الفظة "[1].

و النظم – بذلك – قائم على المعنى ، وما يتصل به من علاقات تستمد من المسند و المسند إليه ، و تعدية الفعل إلى مفعوله ، وارتباط

١- دلائل الإعجاز ص٨٧.

النعت بالمنعوت و المعطوف بالمعطوف عليه ، و الحال بصاحبه ، إلى غير ذلك من العلاقات التي تعتمد في أساسها وما بينها من سبك وتنظيم على علم النحو.

وعليه تكون الألفاظ بمثابة رموز ودلائل على ما تخبئه من معانٍ ودلالات يكشف عنها دخول اللفظة في السياق و التركيب " فالألفاظ سمات لمعانيها ، ولذا لا يتصور أن تسبق الألفاظ معانيها ، وذلك ضرب من المحال "[1].

ولا يفهم من ذلك أن الجرجاني الذي يلح على جانب النظم – يغفل جانب الدلالة ، وما تشي به الألفاظ داخل السياق ، فهو حريص على إبراز دلالات الألفاظ ، وما تحمل من معنى ، وأن يتسم التركيب **بدلالة خاصة** : إخبار ، أو تعجب ، أو استنكار ، أو افتخار أو استهجان و يؤكد الجرجاني ذلك بمثال يبرز دور علم النحو في نظم الكلم ليؤدي المعنى و الدلالة ، حين يعلق على مطلع معلقة امرىء القيس (قفانبك) **بقوله** :

" فلو أزلنا من هذا المطلع ما فيه من ترتيب ، و أعدنا ترتيب الألفاظ على نحو يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فقيل :

١- دلائل الإعجاز ٣٧٩.

(من نبك قفا حبيب ذكرى منزل)

فلن يتعلق الفكر بمعنى كلمة منها ؛ لأن الفكر لا يتعلق إلا إذا توخينا إمكانات النحو في تركيب الكلام ؛ وهو ما صنعه امرؤ القيس من كون (نبك) جوابًا للأمر ، وكون (من) معدّية إلى (ذكرى) ، وكون (ذكرى) مضافة إلى (حبيب) ، وكون منزل معطوفًا على (حبيب) وجملة الأمر أنه لا يكون هناك إبداع في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة و صيغة ، وإن لم يقدم ما قدم ، ولم يؤخر ما أخر ، وبدىء بالذي ثنى به ، أو ثنى بالذي ثلث به ، لم تحصل الصورة الأدبية "[1]

و يمعن الجرجاني في بيان أهمية النظم ، وأن قيمة اللفظ تبرز من خلال السياق ، و انضمامه إلى أخواته في التركيب ، **يقول** :" وهل يقع في وهم ، وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف و النظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ..

وهل تجد أحدًا يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟

١- نفسه ص ٣٤٠.

وهل قالوا : لفظة متمكنة و مقبولة ، وفي خلاله قلقة و نابية و مستكرهة إلا و غرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه و تلك من جهة معناهما ، و بالقلق و النبو عن سوء التلاؤم " [1].

الفصاحة للكلمة إذن من خلال السياق ، و شرف المعنى يتأتى من النظم الجيد الذي يضم الكلمات إلى بعضها في سبك جيد تبرز من خلاله فصاحة الكلمة .

و يدلل الجرجاني لرأيه من أن قيمة الكلمة في وجود السياق بأن " الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ، ثم تراها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر "[2] .

وهذا كلام طيب ، من منطلق " أن الأسلوب هو الرجل " ، و أننا نفضل كاتبًا على آخر ، لما يتسم به من متانة أسلوب ، أي يحسن اختيار اللفظ و ضمه إلى غيره من الألفاظ ، و يؤلف بينها في تراكيب جيدة .

ولأن عبد القاهر يهتم بالمعنى ، فقد جعله تركيبًا عقليًا في نفس الشاعر ، ثم يأتي الرمز اللغوي يبرز هذا المعنى و يخرجه إلى الوجود من خلال النحو وما يتضمنه من علاقات التقديم و التأخير و الاشتغال

١- دلائل الإعجاز ص ٢٦.
٢- نفسه ص ٢٨.

والتعليق و الإعمال ، و الحذف ، وكلها أمور مهمة لازمة لتوليد الأنماط اللغوية ، وذلك يعتمد على ركائز ثلاث :

الأولى : النظم ؛ وهو العنصر الأساسي الذي يسبح بعملية توليد الجمل و التراكيب المجردة ..

و الثانية :الصوت ؛ الذي به يتحدد الشكل الصوتي لأي جملة قد تم توليدها ..

و الثالثة : الدلالة ؛ وهي ما يتصل بمعنى الجملة و طريقة تفسيرها من حيث نسبة المعاني إلى الموضوعات الشكلية التي تنتجت عن العنصر الأول " [1] و عبد القاهر الجرجاني يستخدم كلمة " الأسلوب" للدلالة على التفرقة بين " نظم " ، و" نظم " .

يقول :" واعلم أن " الاحتذاء" عند الشعراء وأهل العلم بالشعر و تقديره و تمييزه ، أن يبتدىء الشاعر في معنى له و غرض أسلوبًا – و " الأسلوب" الضرب من النظم ، و الطريقة فيه – فيعمد شاعر آخر إلى ذلك " الأسلوب" فيجيء به في شعره ..**وذلك مثل أن الفرزدق قال :**

أترجو ربيع أن يجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعًا كبارها .

١- راجع مجلة فصول المجلد الخامس ، العدد الأول ديسمبر ١٩٨٤، ص ٣٣،٣٤من مقال (النحو بين عبد القاهر و تشوفسكي لمحمود عبد المطلب .

واحتذاه البعيث فقال :

أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليبًا قديمها[1]

انظر إلى تعبير عبد القاهر : **الأسلوب** : الضرب من النظم و الطريقة فيه وهذا تعبير صريح يوقفنا على ما يسمى بلغة العصر (**الأسلوبية**) أي نمط التعبير الذي ينتهجه الكاتب أو الشاعر.

وفي منهج الأسلوب و الأسلوبية دار حديث كثير ، و تناولته أقلام النقاد ، **يقول د/ صلاح فضل** :

".....إذا تصورنا علم الأسلوب جزءًا من علم اللغة ، كان علينا أن نحلل نظريته إلى عناصرها المختلفة ، فنجعل أسلوب النصوص الأدبية تطبيقًا جزئيًا لمقولة أسلوبية عامة " [2].

كما يرى (سوسير) رائد الأسلوبية أن النظرية الأسلوبية تعتمد على دقة النظام العام بأسلوب نص معين .

و التحليل الأسلوبي – كما يرى د. صلاح فضل يتعامل مع ثلاثة عناصر :-

١-**العنصر اللغوي** ؛ إذ يعالج نصوصًا قامت اللغة بوضع شفرتها .

١- دلائل الإعجاز ص ٤٦٨.

٢- مجلة فصول المجلد الخامس العدد ١ ديسمبر ١٩٨٤م ص ٤٧.

٢-**العنصر النفعي** ، الذي يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف ، و القارىء و الموقف التاريخي ، وهدف الرسالة و غيرها .

٣-**العنصر الجمالي الأدبي** ، و يكشف عن تأثير النص على القارىء وعن التفسير و التقييم الأدبيين له[1].

لابد للناقد إذن أن يتعامل مع النص لغويًا ، ليتبين ما يقوم عليه من انزياح ، و خروج عن المألوف اللغوي ، وما في التركيب من روابط و تشكيل في التركيب ، و يدخل في ذلك – أيضًا – كاتب النص وما يحيط به من ظروف ، وما وقع تحته من تأثيرات أدت إلى كتابته ، و يتم في هذا الإطار تناول دلالات التراكيب ، وما اشتملت عليه من عناصر فنية جمالية ، فضلاً عما يحمل النص من رسالة وما انتهجه الكاتب في إيصالها إلى القارىء .

صلة الاسلوب بعلم اللغة :

لأن الشعر نظام لغوي ، فهو يعتمد على الصياغة بالدرجة الأولى وما يتخللها من جمل و عبارات ، وما تقوم عليه هذه الجمل من تقديم و تأخير ، و اتفاق أو خروج عن مقاييس اللغة و الصلة وثيقة بين اللغة والأسلوب ، لذا يلجأ المبدع و الناقد كلاهما إلى علم اللغة ، المبدع يوظف

١- نفسه ص ٤٨.

اللغة داخل عمله الأدبي و الناقد ينظر إلى المقاييس و الأطر المنظمة لما استخدمه المبدع من مفردات وصيغ و أنساق لغوية .

في الأسلوبية إذن يعتمد المبدع على العناصر الثلاثة :

- اللغة
- النحو
- الدلالة

اللغة بما تحمل من مفردات تنتظم في أساليب يصنعها المبدع و ينظمها له علم النحو و يقيم الروابط بينها بما فيه من إسناد و ترتيب أو تقديم و تأخير ، كما يلجأ إلى الدلالة ليتبين مدلول ما أتى به من صيغ و قيمتها و تأثيرها على المتلقى .

ولا يتوقف الأمر على هذه العناصر فقط ، بل يساندها أمور أخرى تؤخذ في الاعتبار مثل : مؤلف النص والظروف التاريخية و الاجتماعية لأن هذا كله من شأنه أن يكشف عن جوهر النص و يساعد الناقد في الكشف عن ظواهره الأسلوبية ، و يمكنه من الحكم عليه حكمًا صائبًا .